الهجرة الجزائرية نحو المغرب الأقصى

بعد الاحتلال 1830

أ. برابح محمد الشيخ
جامعة زيان عاشور الجلفة
أ. بن جدوخضرة فطيمة الزهرة
جامعـــة الجزائر 02

دراسة مظاهر اندماج وتغير الجالية الجزائرية في المجتمع المغربي

مقدمة:

تعتبر مظاهر الهجرة بما فيها تنقل الأفراد والمجموعات أو القبائل داخل الجزائر أو خارجها في اتجاهات متعددة (الشام، تونس،البقاع المقدسة، المغرب، الأقصى .....) أحد أهم نتائج الحملة الفرنسية على الجزائر في جويلية 1830م، حيث امتدت بعد ذلك على فترات مختلفة غطت مراحل الاحتلال، فكيف ساهم الاستيطان والغزو الفرنسي للجزائر في تهجير أعداد كبيرة من الجزائريين نحو المغرب العربي الأقصى؟ وكيف اندمجت الجالية الجزائرية في الحياة السياسية والاجتماعية المغربية ؟

بعد نجاح الحملة الفرنسية في احتلال الجزائر وبداية التوسع باتجاه المدن الداخلية أخذ النشاط الاقتصادي يتقلص تدريجيا في المدن والبوادي و أفلست فئات واسعة من الحرفيين والفلاحين الجزائريين.[1]

أسباب و مبررات الهجرة:

كان لانتشار المقاومات والانتفاضات الشعبية وسياسة الترهيب والتقتيل التي مارسها القادة العسكريون الفرنسيون أمثال الجنرال روبار بوجو بوجود دورا في تشجيع حركة الهجرة بحثا عن الأمن والاستقرار

[1] . ابو القاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، جزء1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص241.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

لذلك فحكم فرنسا للجزائر اعتمد على السيف والمحراث[1]، لذلك لم يبق للجزائريون الذين انتزعت أراضيهم أي مبرر لتوفير أسباب العيش نتيجة الفقر الذي لحق بهم، ولم يسلم من سياسة التفقير حتى الأغنياء في المدن، فقد مست الحاجة عائلات عديدة كانت غنية وأصبحت تمارس التسول وتفكر في الهجرة[2] فضلا عن الاعتداءات التي مست المساجد والأوقاف الإسلامية و انتهاك حرمة المقابر الإسلامية وهذا ما خلق مبررات إضافية للهجرة خاصة بالنسبة للعلماء والفقهاء وحتى الباحثين عن فرص التوظيف مثل طبقات العمال باختلاف مهنهم .

وبعد تراجع مقاومة الأمير عبد القادر وانكماش تأثيرها ووقفها لحركة التوسع الاستعماري وسقوط مدن عديدة، مثل شرشال والمدية ومعسكر وسعيدة وبلعباس ووهران وتلمسان... حيث أصبح واقع الهجرة أمرا محتوما للكثير من الأسر والأفراد، لاسيما منهم العائلات المثقفة والغنية فشدت الرحال إلى مدن مغربية مثل تيطوان وفاس و وجدة.[3]

فالحديث عن المناطق الجغرافية للهجرة، يقودنا للبحث عن طبيعة المبررات القوية التي وقفت وراء حركة الهجرة، فكان العنصر الديني فاعلا قويا حيث وقف وراء تكثيف وتشجيع هذه الهجرات نحو مدن المغرب.[4]

وعليه فإن المبررات الدينية للهجرة نحو المغرب كان أهم المبررات حيث صدرت فتاوى في هذا الاتجاه من علماء المغرب منذ سنة 1837، ثم في الجزائر في 1842. تبيح الهجرة للجزائريين نحو المغرب استمرارا

---

[1] . محمد إحسان الهندي، الحوليات الجزائرية، تاريخ المؤسسات في الجزائر، دمشق، مارس1977، ص 116.

[2] . أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص243.

[3] . عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، الجزء الثالث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1929ص122

[4] . أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص227.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

للفتاوى التي صدرت في القرون الماضية حينما قررت اسبانيا الكاثوليكية التضييق على مسلمي الأندلس عند نهاية القرن 15.[1]

وفي هذا الإطار صدرت فتاوى تحدد الانتقال من دار الحرب إلى دار الإسلام واعتبار الجزائر بعد الاحتلال 1830 دار حرب ومنه فالترخيص لأهل الجزائر بالهجرة واضح لدى الفقهاء المغاربة، حيث رحب الأمير عبد القادر بأجوبة علماء فاس لكنه لم يعر اهتماما بالغا لمسألة وجوب الهجرة نحو المغرب لأنه لا يريد تقويض عزيمة الجزائريين في الجهاد والدفاع عن وطنهم.

أمام التراجع التدريجي لقوات الأمير ضد الفرنسيين منذ 1841 واضطراره إلى اللجوء إلى شرق المغرب الأقصى، أصبحت الهجرة واقعا محتوما على الجزائريين.[2] وبهذا انتشرت فكرة الهجرة الجماعية بين العلماء، وكذلك عند أتباع الأمير، في دعوة الناس إلى الخروج من الجزائر مادام الكافر قد تغلب عليها، فقام بعض العلماء و شيوخ الطرق والمرابطون بدعوة أنصارهم إلى الهجرة قصد التمسك بعرضهم ودينهم ولغتهم.[3]

اتجاهات الهجرة:

إن الأسر الجزائرية التي اختارت المغرب الأقصى وطنا جديدا لها بعدما اشتد عليها الخناق في حياتها وبعدما أصبحت عرضة لتضييع لغتها ودينها،كما أن بعض الأسر سافرت بعلم الإدارة الاستعمارية وفي بعض الحالات تقدمت بطلبات لتسهيل مغادرتها وتعاطت معها المكاتب الأهلية الفرنسية بطريقة عادية على غرار التراخيص الممنوحة للحجيج لأداء مناسك و العمرة، ولما ازداد عدد المهاجرين أصبحت الإدارة

---

[1] . محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16وَ17، مطبعة إفريقيا الشرق، الدار البيضاء 1989،ص149.

[2] . محمد العربي الزبيري، مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي للجزائر، المؤسسة الوطنية لكتاب الجزائر 1971 ص94.

[3] - Yvonne turin, affrontements culturels dans l'algerie colonial(1830 ,1880).enterprise national du livre.alger.1983.p.75.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الفرنسية ترى في تلك الهجرات موقفا ضد سلوكات الإدارة الفرنسية فتحفظت على هجرة العديد من العائلات الجزائرية.

إن الأسر الجزائرية المهاجرة اختارت في البداية المناطق القريبة جغرافيا من الحدود الجزائرية قبل أن تختار مناطق و حواضر داخل المغرب، وهذه بعض الإحصائيات والأرقام التي تبرز لنا بوضوح هجرة بعض الأسر الجزائرية نحو المناطق المغربية في الفترة ما بين (1804 . 1895) وذلك من خلال هذا الجدول:[1]

جدول تفصيلي يوضح زمن و حركة الهجرة و اتجاهاتها

أماكن الهجرة	المقاطعة	عمالة	عدد الخيم الجزائرية المهاجرة	سنوات الهجرة	مناطق اتجاه القبائل الجزائرية
سعيدة البيض مشرية تيارت	مسكرة عين الصفراء مسكرة	وهران	518 خيمة	1894-1864	بني كيل
البيض مشرية العريشة	عين الصفرا تلمسان	وهران	3 خيمة	1895-1865	أولاد سيدي الشيخ غرابة
سعيدة البيض	مسكرة عين الصفراء	وهران	14 خيمة	1893-1864	أولاد جرير
غرداية	لغواط	الجزائر	4 خيمات	1889-1881	كورارة
البيض	مسكرة	وهران	17 خيمة	1881-1864	مراكش

الملاحظ أن عدد المهاجرين وتدفقهم نحو المدن المغربية تحول إلى مشكلة وقضية تتعلق بأمن فرنسا ويجب البحث في خلفياتها و أهدافها، ذلك أن مناطق تدفق هجرات الأسر الجزائرية لم تقتصر على منطقة دون أخرى، فهناك مهاجرون من سعيدة والبيض و تيارت والمدية وحتى من مشارف الصحراء بمقاطعة لغواط و ضواحيها، مما جعل الحاكم العام للجزائر يكلف الوالي (le sous préfet) عن مقاطعة سيدي

[1] - Archives national boit.112.1893. rèdigès par .government general de l'algerie, services des affaires indigenes. Alger 1893 .

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

بلعباس بالقيام ببحث حول أسباب الهجرة المكثفة نحو المغرب بين عامي (1898-1899)[1].

وقد تم إيعاز أسباب تلك الهجرات حسب التقرير المذكور سابقا إلى الفقر الناتج عن زيادة الضرائب على القبائل والجفاف الذي ضرب مناطق الغرب في تلك السنوات وكذا القوانين الصارمة المتعلقة باستغلال الغابة، والتي منعت موانئ الجزائريين من الاقتراب من المناطق الغابية وهو ما دفع الجزائريين إلى الهجرة عن أوطانهم.[2]

فئات المهاجرين الجزائريين:

لم تكن هجرات الجزائريين تقتصر على فئة دون أخرى، فكانت مزيجا من التجار والمواليين والقضاة والعلماء، فمن القضاة هاجر إلى فاس القاضي محمد بن سعد التلمساني وكذا محمد بن عبد الله المجاوي،[3] ومنهم أيضا ابن تكوك الشارف ابن الجيلاني (1803-1890) فهو فقيه ومحدث و خطيب، ومنهم المشرفي العربي بن عبد القادر أبو حامد وهو مؤرخ وأديب، وكذا عبد القادر المجاوي (1848-1912) وهو فقيه ومؤرخ انتقل مع عائلته إلى فاس واصل تعليمه بطنجة وتطوان، وبعد عودته إلى الجزائر عين مدرسا بالمدرسة الكتانية بقسنطينة ثم نقل إلى المدرسة الثعالبية بالجزائر العاصمة تتلمذ على يديه عدد كبير من القضاة والمترجمين والأئمة والوعاظ والمدرسين.[4]

والمتتبع لدوافع هجرة هؤلاء العلماء والقضاة وأسرهم يقف على حقيقة أن بطش الاستعمار ومصادرته لأراضي الجزائريين والضرائب الباهظة كانت الدافع الرئيس للهجرة، فالمراسيم الجائرة والقوانين الفرنسية صادرت

---

[1] - rapport de l' administration de la commune mixte de Zimmerman au sous préfet de sidi belabbes.20/02/1900.poit n: 168 Arechivs national.

[2]- محمد الأمير، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، شيخ ممدوح حقي دار اليقظة العربية، بيروت 1964 .ص.114

[3] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي الجزء 4، الطبعة الأولى الغرب الإسلامي 1998 ص 504

[4]. عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1995، ص 178 وما بعدها.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

أراضي الجزائريين ومكنت المستوطنين من الاستيلاء عليها واستغلالها، وفي هذا الصدد أشارت الإحصائيات إلى مصادرة ما مقداره أكثر من مليون هكتار في الفترة الممتدة 1830 إلى 1900.[1]

اندماج المهاجرين في المجتمع المغربي:

نجد أن بعض المصادر والمراجع التي تمكننا من الاطلاع عليها رأت أن الهجرة الجزائرية إلى المغرب كانت حتمية اضطر إليها الجزائريون خلال القرنين التاسع عشر والعشرين وأن المتسبب هو الاستعمار الفرنسي [2].

وبغية التكافل الأخوي بين المهاجرين الجزائريين و المغاربة وقصد سهولة الاندماج والتطلع إلى حياة أفضل ساهموا في إنشاء الجمعيات الخيرية التي قدمت خدمات كبيرة لإعالة المهاجرين الجدد المعوزين و أسرهم، ومن تلك الجمعيات جمعية الأعمال الخيرية الإسلامية التي أسسها الموظفون الجزائريون بوجدة سنة 1920 وقد لعب سي رحال دورا في تأسيسها وكانت ميزانيتها بين 130 و 140فرنك فرنسي حيث أشرفت على دار للعجزة واليتامى[3].

وبعد أن اندمج المهاجرون الجزائريون . وربما في بعض الأسر الجيل الثاني . وشكلوا عنصرا هاما من النسيج الاجتماعي المغربي فكثر عدد التجار الجزائريون بالمدن المغربية ونمت ثروتهم وتعددت أنشطتهم الاقتصادية والمهنية فأسسوا تجمعات مهنية على رأس كل تجمع أمين.[4] يتولى مهمة التكفل بشؤون الطائفة لدى سلطات المخزن وتوطيد العلاقات بين المغاربة والجزائريين.[5]

---

[1] . عبد الحميد زوزو، الهجرة الجزائرية ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربيين (1919.1939)الطبعة 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1958 ص 39

[2] . نادية طرشون وآخرون، الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي أثناء الاحتلال، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، الجزائر 2007 ،ص،ص،9،10

[3] . محمد أمطاط، الجزائريون في المغرب، دار أبي رقراق، الرباط، الطبعة 1، 2008، ص 204

[4] . أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق ،ص102.

[5] . نادية طرشون وآخرون، مرجع سابق ،ص267.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

تميزت فئة المهاجرين الجزائريين عن باقي الفئات بإرادة قوية في النشاط التجاري وتعاطيهم مع خصائصها وخباياها جعلهم ينافسون تجار فاس و وجدة، فكان كبار التجار بوجدة على سبيل المثال إما أنهم فاسيين أو جزائريين، فمعظم المحلات التجارية والبضائع تقع بأيديهم وكان بين الفئتين تنافس حاد.[1]

كان التجار الجزائريون بالمغرب يتاجرون بجميع أنواع البضائع سواء كانت محلية أو مصدرها أوروبي كانجلترا أو فرنسا ومن جملة المواد المتاجر بها، الحبوب والتوابل والمنتجات وغيرها ،كما احتكر الجزائريون تجارة الجلود، والمصنوعات القطنية.[2]

و مارس الجزائريون أيضا الفلاحة حيث ملكوا الأراضي الزراعية وأصبحت لهم بساتين تنتج أنواع الخضر والفواكه وتربية المواشي، وفي هذا الصدد نزحت من منطقة توات أسر جزائرية كان أفرادها يمارسون مهنة السقي وغرس الزيتون كان ذلك في حدود سنة 1907.[3]

و على كل حال فقد عاش أغلب الجزائريين في المغرب حياة اندمجوا من خلالها في المجتمع المغربي وتزوجوا بمغربيات وتوطدت علاقات المصاهرة بينهم.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن المراجع والمجلات التي اطلعت عليها، أكدت أن الجالية الجزائرية في المغرب الأقصى بما فيهم هؤلاء في الموظفين في الإدارة الفرنسية قد ساهموا مساهمة كبيرة في بناء نهضة المغرب الأقصى الحديث، كما شاركوا المغاربة في أفراحهم وساهموا معهم في حمل راية العلم والمعرفة وزرعوا سويا بذور الوطنية والتحسيس بخطر الاستعمار في كلا القطرين.

ونظرا للكفاءات والمهارات الفكرية والعلمية التي كان يتمتع بها معظم الجزائريون فقد لجأ إليها المخزن المغربي في عملية إصلاح أجهزة

---

[1] . عمر أفا، التجارة المغربية في القرن التاسع عشر ن دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى 2006ً ص102

[2] . عمر أفا، مرجع سابق، ص109.

[3] . نادية طرشون وآخرون، مرجع سابق ،ص269.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الإدارة، كما استعانت بهم فرنسا بعد الحماية 1912، في العديد من الوظائف وذلك في إطار حاجتها لنخبة تجيد اللغة العربية والفرنسية بل حتى الأمازيغية وتعرف العادات الإسلامية وكانت الجزائر خزانا لكل تلك الكفاءات.[1]

وقد تقلد الجزائريون مناصب سامية في المغرب الأقصى حيث استوزر سلاطين المغرب بعض الجزائريين مثل محمد المقري فقد عينه مولاي عبد العزيز وزيرا للمالية رغم دراية المغاربة بالشؤون المالية و تحكم الجالية اليهودية في دواليب صك العملة بالمغرب الأقصى، كما مثل السلطان في مؤتمر الجزيرة الخضراء 1906، ثم ولاه مولاي يوسف صدرا أعظم (وزيرا أول).[2]

كما أسندت بعض المناصب الأخرى مثل كتاب وزراء لبعض الجزائريين أمثال محمد بن احمد عبد الله بن منصور التلمساني ،وثم تعيين أيضا قضاة ومترجمين في العديد من الأقاليم المغربية مثل قدور بن غبريط وهو الذي ترجم كل المعاهدات والاتفاقيات بين المغرب والدول الأوروبية بداية القرن العشرين.[3]

ومن خلال إبراز دور بعض أفراد الجالية الجزائرية بالمغرب الأقصى نخلص إلى أن هجرة الجزائريين التي استمرت عقودا زمنية، باتجاه المغرب كانت مظهرا من مظاهر الاحتلال والقمع الذي تعرض له الجزائريون، كما أن الجالية الجزائرية شكلت حضورا كبيرا في مختلف المؤسسات المخزنية، وساهمت في تسيير دواليب شؤون الحياة المغربية ويدل هذا على مدى تفاني الجزائريين وإخلاصهم لسلطة المخزن عبر مراحل تواجدهم وكذا تمتعهم بمؤهلات علمية ومهارات فكرية أهلتهم لانتزاع مناصب هامة في هرم الدولة المغربية وتحولوا إلى عنصر

---

[1] . مهديد إبراهيم، الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال 1830،1962، أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة فندق الأوراسي 31/30 أكتوبر 2006، وزارة المجاهدين الجزائر ،2007. ص134.

[2] . محمد أمطاط، مرجع سابق ،ص166

[3] - Djilali sari et autre,l'emigration Algerienne en Europe ,serie de projets nationnaux de recherche,edition spècial, ministère du modjahdines 2007p:93

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

ايجابي في النسيج الاجتماعي والسياسي المغربي نتيجة اندماجهم في منظومة المجتمع المغربي .

قائمـــــة المراجـــــع:

1-ابو القاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، جزء1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

2-محمد إحسان الهندي، الحوليات الجزائرية، تاريخ المؤسسات في الجزائر، دمشق، مارس1977.

3-عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، الجزء الثالث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1929.

4-محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16وَ17، مطبعة إفريقيا الشرق، الدار البيضاء 1989.

5- محمد العربي الزبيري، مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي للجزائر، المؤسسة الوطنية لكتاب الجزائر 1971 .

.

6-محمد الأمير، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، شيخ ممدوح حقي دار اليقظة العربية، بيروت 1964 .

7- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي الجزء 4، الطبعة الأولى الغرب الإسلامي 1998 .

8- عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1995. .

9- عبد الحميد زوزو، الهجرة الجزائرية ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربيين (1919.1939)الطبعة 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1958 .

10- نادية طرشون وآخرون، الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي أثناء الاحتلال،

11- سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، الجزائر 2007 .

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

12- محمد أمطاط، الجزائريون في المغرب، دار أبي رقراق، الرباط، الطبعة 1، 2008.

13- عمر أفا، التجارة المغربية في القرن التاسع عشر ن دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى ً2006.

14-مهديد إبراهيم، الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال 1830،1962، أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة فندق الأوراسي 31/30 أكتوبر 2006، وزارة المجاهدين الجزائر ،2007.

15-Djilali sari et autre,l'emigration Algerienne en Europe ,serie de projets nationnaux de recherche,edition spècial, ministère du modjahdines 2007p:93

16- Yvonne turin, affrontements culturels dans l'algerie colonial(1830 ,1880).enterprise national du livre.alger.1983.p.75.

17-Archives national boit.112.1893. rèdigès par .government general de l'algerie, services des affaires indigenes. Alger 1893 .

1 - rapport de l' administration de la commune mixte de Zimmerman au sous préfet de sidi belabbes.20/02/1900.poit n: 168 Arechivs national

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)